١ — ابن رشد الفيلسوف للأستاذ محمد يوسف موسى

٢ — بعد الموت للأستاذ السعيد يوسف موسى

— ١ —

هذا الكتاب من تأليف الأستاذ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، وهو من سلسلة أعلام الإسلام التي تصدرها لجنة دائرة المعارف الإسلامية . ويقع الكتاب في ١١٧ صفحة من الحجم الصغير ، ولكنه على صغر حجمه جيد في بابه ، ولا غرو فالمؤلف مشتغل بهذا الفيلسوف من زمن ، وينوي أن يضع فيه رسالة كبيرة ، فهو ليس غريباً عن الموضوع . عرض أولا لعصر ابن رشد وأسرته ، ثم إلى نشأته ، ثم عمله في التوفيق بين الحكمة والشريعة ، ثم عمله في نظرية المعرفة ، ثم ابن رشد والغزالي ، ثم انتهى إلى خاتمة المطاف ، وإلى ابن رشد وأثره من بعده ، وهل نجح في رسالته .

وأنت ترى أن صفحات الكتاب أضيق من هذه الموضوعات المتعددة . وقد كان المؤلف بارعاً في الإيجاز حتى يسوق جميع ما يريد أن يقول في هذا الثوب الضيق . غير أنه اضطر إلى التلميح عن بعض النظريات دون إشباع حسب ما يقتضيه المقام .

وفي الكتاب عرض جيد لحياة ابن رشد وعصره وتفصيل لمحنته ومناقشة أسبابها . وطريقة المؤلف في اقتباس النصوص وحبكها في مجرى الكلام ، تدل فضلا عن الاطلاع الغزير ، على امتلاك ناصية الموضوع .

وقد وفّى الفصل الخاص بالتوفيق بين الحكمة والشريعة حقه إذ يستغرق ٢٧ صفحة ، بينما نظرية المعرفة تناولها في خمس صفحات ونصف . وكنا نرغب الإطالة في هذا الموضوع الذي لم تسبق الكتابة فيه ، ولا يزال غامضاً . وأخالف الأستاذ محمد يوسف موسى فيما يذهب إليه من أن ابن رشد يرى في الاتصال أنه « وصول العقل الإنساني إلى الدرجة العليا من الكمال ، تعني الاتحاد ، أو الاتصال بالعقل الفعال أو الله تعالى ذاته » ص ٦٣ ، ٦٤ ثم قال :

« ولا بد من توفر ثلاثة أمور فيمن يسعد بهذه النعمة أي نعمة الوصول : قوة العقل الأصلية ، وكمال العقل بالفكر ، وعون وإلهام غير طبيعي من الله » .

وأكبر الظن أنه يريد أن يقول « إلهام طبيعي » لا غير طبيعي. وتصوير الاتصال بالعقل الفعال أو الله ذاته على النحو المذكور يجعل من ابن رشد صوفياً ، خصوصاً وأنه اشترط فيما بعد العون الإلهي . وبهذا لا تستقيم النتيجة التي أوردها بعد ذلك ، وهي أن ابن رشد « ابتعد عن مجاهدات الصوفية ... فهو لهذا أقل الفلاسفة الأندلسيين بل المسلمين تصوفاً » ص ٦٤ .

فهل كان ابن رشد متصوفاً ، أو عنده نزعة صوفية كالفارابي مثلا؟

— ٢ —

وهذه قصة ألفها الأستاذ السعيد يوسف موسى ، تقع في ٢٨٦ صفحة من الحجم المتوسط .

أعرف المؤلف معرفة شخصية ، وأستطيع أن أؤكد لك أن هذه القصة صورة من نفس المؤلف ، أودعها أحاسيسه وعواطفه وآراءه . وهذا الصدق في التعبير هو السر في قوة هذه القصة . وأكبر الظن أن المؤلف لن يستطيع أن يخرج لنا مثيلا لها إلا بعد مضي سنوات طويلة ، تزدحم فيها نفسه بتجارب جديدة وصور أخرى يودعها قصته الجديدة ، فإن أراد أن يبين فساد حكمي فليقدم على إخراج قصة أخرى ...

نحن في حاجة إلى القصة الطويلة في اللغة العربية . فالقصة القصيرة يكتب فيها كثيرون على رأسهم الأستاذ محمود تيمور ، فهو بطل هذا الميدان . وقصة « بعد الموت » قصة مصرية صميمة ، لم يتأثر صاحبها بالمؤلفات الأجنبية ، فهي بذلك تسد باباً كنا نحس فيه بالنقص . وهذه خلاصة الموضوع في إيجاز .

طالبان من الريف ، ذهبا إلى مدرسة داخلية بالاسكندرية ، فاتصلا في المدرسة وارتبطا بصداقة وثيقة المرى . أحدهما جلال ، والآخر هو الذي يقص القصة ... رأسهما « نجوان » صاحبة بار بالاسكندرية ، فأحبت جلال الذي كان متعاهداً على الزواج من هند ابنة عمه . وهنا يحدث صراع بين الوفاء للوعد ، وبين الحب الجديد الذي يستغرق فيه جلال ، وصاحبه معه ، إلى أن يطردا من المدرسة . وتعرف هند وأم جلال ، فتحضران إلى الاسكندرية وتطلبان إلى نجوان التخلي عن جلال ، ولا تستطيع نجوان فتقتل نفسها ويشهد جلال مصرعها ويظل ذكراها عالقة بذهنه فلا يشفى من داء حبها حتى « بعد الموت »

من إنتاج الأدب السوداني

١ — مهدي الله للأستاذ توفيق أحمد البكري

٢ — الطريق إلى البرلمان للأستاذ اسماعيل الأزهري

— ١ —

مؤلف هـذا الكتاب الأستاذ توفيق أحمد البكري شاب سوداني ذو ثقافة عاليـة وذوق أدبي أصيل — ولا عجب فهو خريج كلية الآداب ومعهد الصحافة من جامعة فؤاد الأول — وإذ تصدى للكتابة عن الإمام الكبير محمد أحمد المهدي فقد تصدى بعد دراسة عميقة مزمنة ورغبة ملحة صادقة . ولعل المستر ونستن تشرشل يعنيه حينما قال في كتابه حرب النهر « إن المؤرخ السوداني الذي سيكتب تاريخ بلاده يوما ما يجب ألا ينسى أن يضع « محمد أحمد » في طليعة أبطاله ، « فأن هذا الشاب النابه قد خدم بلاده خدمة محققة بنشره هذا الكتاب في سيرة ذلك الرجل ، الذي لا نعلم أن أحداً استطاع من قبل أن يصور له صورة إنسانية خالية من التحامل » كما يقول الأستاذ الكبير أبو حديد .

وسيرة الإمام المهدي سيرة فيها من هدى الدين وقوة الإيمان ما ذللت أمامهما الصعاب ورضخت لمشيئتهما القوة المنظمة الحاكمة ! فأن رجلا نشأ بين أبوين شريفين رقيق الحال فشب عن الطوق وثقافته دينية بحتة ، وحياته تأملات صوفية عميقة ، وروحه نقية زاهدة ، فلا تريد من متاع الدنيا مالا ولا جاها ولا ملكا . وإنما يدعو العباد إلى صلاحهم وإلى مايقربهم من ربهم لتمتلىء الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما — وبهذه الدعوة الطاهرة المليئة ايمانا تكأ كأ عليه المؤمنون جماعات ووحدانا يرتلون قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

استطاع ، وهو الأعزل ، أن يفتح ذاك الفتح المكلل بالظفر وأن يقيم دولة إسلامية دستورها الكتاب والسنة ست عشرة حجة طوالا

وإننا بصدد الأشارة إلى هذا الكتاب النفيس لا يفوتنا أن نرجي عاطر الثناء إلى لجنة دائرة المعارف الإسلامية لنشرها هذا الكتاب من سلسلتها التاريخية «أعلام الإسلام» كما نرجو أخانا الأستاذ توفيق البكري أن يتم مابدأه فيفصل ما أوجز ويسهب فيما اقتضب ، لتوفى هذه الشخصية الكبيرة حقها دراسة وتحليلا.

— ٢ —

«الطريق إلى البرلمان»: مؤلفه الأستاذ اسماعيل الأزهري خريج الجامعة الأمريكية ببيروت ورئيس مؤتمر الخريجين العام في السودان لهذه الدورة ودورات ماضية — والأستاذ معروف بأنه البرلماني الأول في السودان ، فلا غرو أن يؤلف كتابا قيما بعنوان « الطريق إلى البرلمان » في أكثر من ثلثمائة صفحة — والعنوان كما ترى جذاب أخاذ يدل على أن هذا الكتاب يأخذ بيدي القارىء ويدخله البرلمان بسهولة ويسر ! ويتضخم هـذا المدلول حينما تعلم أن الأستاذ زعيم معروف ! بينا أن الكتاب يتحدث عن نظم الجمعيات ، كالأندية والشركات واللجان والأحزاب وغير ذلك ، مرتباً كيفية تكوينها وتنظيمها وإدارتها حتى يتدرب النشء والكبار على النظم البرلمانية وأساليبها فتنشأ الأجيال المقبلة عريقة فيها مجبولة على تقديس القوانين مفطورة على حب النظام .

ولم يفت الأستاذ أن يشير إلى استخدام هذا الإسم « الطريق إلى البرلمان » كعنوان ، لأن الغرض من وضع هـذا الكتاب كما قال : « نشر النظام البرلماني ليصبح بفضل التدريب والمران عادة مألوفة وتقاليد متأصلة عند الصغار والكبار في « الطريق إلى البرلمان » حتى إذا دخلوه استطاعوا أن يستفيدوا من نظمه في النهوض بأممهم إلى أعلى مراتب التقدم والكمال »

والكتاب يحتاج إليه رجل الاجتماع بقدر حاجة الطالب الماسة ، ويا حبذا لو قررته مصلحة المعارف السودانية في مدارسها الثانوية ليساعد على إخراج رجل الاجتماع المنشود .

الفاتح النور

إني آسف لهذا الاختصار المخل ، فهو لا يغني عن قراءة القصة وتذوق ما فيها من حلاوة الحوار بين هذه الشخصيات المختلفة ، التي يحاول صاحب القصة أن يجعلها تنطق بحقيقة المشاعر الإنسانية .

يريد المؤلف أن يقول إن الروح تبقى بعد الموت ، وأنها تؤرق سلوك الأحياء ، بدليل أن موت نجوان لم يبطل حب جلال لها ، ولم يصرفه إلى العودة إلى خطيبته الأولى هند وكان يراها في المنام فيفزع.

ولكن علماء النفس المحدثين يذهبون إلى خلاف ما يذهب إليه المؤلف ، ويفسرون أمثال هذه الظواهر بأنها حالات مرضية يمكن شفاؤها بالتحليل النفساني . ونأخذ على المؤلف هجومه العنيف على المعلمين وعلى المدرسة وكنا نحب أن يسمو عن هذا .

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني